(١٢)

معبودك
وموجودك

حديث الجمعة

٢ جمادى الآخرة ١٣٨١ هـ - ١٠ نوفمبر ١٩٦١ م

باسم الأكبر: باسم الأدنى: باسم الإنسان: باسم الوجود تجلى بالإنسان للإنسان علمه البيان.. في أمشاج ابتلاه وبرحمته اصطفاه، جمعه وسمعه فأسمعه فجعله له سميعا، وبَصَره فأبصره فجعله عينا بصيرا. {فلينظر الإنسان مما خلق}[١]، فليؤمن الإنسان أن خالقه غير متوقف في تطويره في خلقه، وأنه لن يتركه عبثا - لأنه لم يخلقه عبثا - وقد أوجده لنفسه إليه يتعارف وبه يتعارف. فلينظر الإنسان في نفسه، ولينظر الإنسان فيما حوله، فلينظر في فطرة الله ولينظر في صبغة الله.. صبغة الله فيه وصبغة الله في الكون الذي يحتويه ولا يحتويه.. يحتويه ما بقيت أنانيته مع مادته، ولا يحتويه إذا انتقلت أنانيته من مادته إلى روحه. فالإنسان بروحه لا يحتويه الكون، والإنسان بمادته يطويه الكون، وانتقال الإنسان بأنانيته من مادته إلى روحه بهويتها، إنما هو أمر ميسر له، ويسير فيه ما قبله عقله، وخضعت له نفسه فانطلقت به روحه.

إن حديث الإنسان للإنسان يصدر من مصادره في أنانيته من أمر نفسه أو من أمر عقله أو من أمر روحه، ويستمع إليه الإنسان بأذن نفسه أو بأذن عقله أو بأذن روحه. فإذا تلاقى المتحدث والسامع بمصادر الحديث من الروح، اجتمعت الروح بالروح، ومن العقل اجتمع العقل بالعقل، ومن النفس اجتمعت النفس بالنفس. فإن اختلف المصدر عند المتحدث والسامع لم ينتج الحديث بينهما أثره. وربما أساء إلى ما كان بين المتحدثين قبل الحديث.

أما الذوات فإنها لبنات من مادة تتراص أو تتناثر، تنتظم أو لا تنتظم، تجمع أو تفرق، ترتفع لبنة فوق لبنة أو تنبسط لبنة بجوار لبنة.. لا إرادة لها، ولا فعل لها، ولا حكمة عندها، ولا إدراك لوضعها، ولا قيام بكونها.. فهي لا حياة لها، ولا تدبير لها وإن أظهرت بمظهرها فعل النفوس متآلفة أو متنافرة، والعقول مؤتلفة أو مختلفة، والأرواح متوحدة أو متباعدة.

إنكم في هذه الدار من الأرض من عوالم الله ومن عوالم الروح.. تبدأون الوجود وتبدأون الحياة وتبدأون الانفعال بالتواجد، ما تجمعتم مؤتلفين متوحدين متراصين لبنات لغرف، وغرفا لبيوت، وبيوتا لبلد، وبلادا لوطن، ووطنا لأمة، وأمما لبشرية، وبشريات لإنسانية. تُرفعون وتولجون طبقا فوق طبق وطبقا تحت طبق.. كتبت لكم الغلبة ما اتقيتم الله، ووعدتم بالنصرة ما آمنتم بالله، وكسبتم الحياة ما بعثتم بها روحا في جماد أرضها من ذواتكم شجرة طيبة، تزرعونها بدفن أنفسكم وتصعيد عقولكم وتحرير أرواحكم.. والامتداد بنفوسكم في أرضها جذورا لشجرتها، والارتفاع بعقولكم سموات لأرضها.. حتى يجتمع غيبها من الأرض وغيبها من السماء بشهادتها بعثا بحقها وخلاصا من وصف خلقها، توحيدا من شتاتها، وقد جمع قانون الخالق أمشاجها، وأوثق روابطها وقد طهرها من خبثها وأبقاها بجوهرها، فتجمعت جواهرها في وحدة من رتق، وتخلصت من خبائثها في فرقة من فتق، فقام الإنسان قياما للرحمن. علمه البيان فتجلى بالشمس عليه دليل، وبالقمر عليه وكيل، وبالأرض من سكينته ومظاهر حسابه وقدرته. جعل منها مسجد طوافه وكرسي اعترافه.

هذا ما جاءكم به البلاغ مع كل حامل لبلاغ.

وهذا ما جاءكم به الرسل مع كل قائم بهدي.

وهذا ما جاءتكم به الأئمة مع كل قائم بحقيقة.

وهذا ما يأتيكم به عالم الروح في هذا العصر جماعا لذلك كله وبيانا له، وتحقيقا لما جاء به البلاغ والرسل، وقياما للإنسان متحررا من عوالم الأبدان، وظاهرا للأبدان بالأبدان في عيان سلطانه، في نظام منسق وفي أمر موفق، وفي قرب أقرب للناس فيهم من أنفسهم.. أقرب لهم من عقولهم، أقرب لهم من قلوبهم، أقرب لهم من ذواتهم، أقرب لهم من معانيهم.. إنه قيام الحق منهم، وقيام الحق لهم، وقيام الحق بهم، وقيام الحق فيهم.. إنه ما قبل البداية للدين وأهله، وإنه ما بعد النهاية لليقين وأهله.. إنه أمر الله.. إنه وجه الله.. إنه يد الله.. إنه نور الله.. إنه روح الله.. إنه قدرة الله.. إنه عين لله.

الإنسان ما بين مادة وروح، ما بين مادة تزول وتتعطل وترجع إلى أهلها من العدم ومن الهمود، وروح لا تمحى ولا تتعطل ولا يتوقف لها نمو، ولا تجز لها حياة، ولا يمنع عنها رجاء. إنه في هذه الدار في هذه الأرض.. كامل الاختيار محجوب عن إدراك الاضطرار، كائن مختار له أن يختار بين مادته وروحه. فإن اختار روحه فقد اختار الحياة، وإن اختار مادته فقد اختار العدم. فإن اختار

روحه لأناه واختار مادته لروحه فقد أحسن القيام حيث هو قائم في كل حياة، وأحسن السلوك حيث هو سائر في أي طريق، وأحسن اختيار الهدف حيث هو هادف إلى كل فضيلة.

من طلب الله على ما يليق بطلبه وجده في بيته منه. ومن غفل عن ذكر الله في مذكور قيامه بيتا له فإن الله غني عن العالمين. إن من أراد الله معه لا يفارقه أبدا، فارق نفسه وعقله وروحه ومعناه إلى معية مولاه فأصبحت نفسه ملكا لله وقد حلت بيده، وعقله نورا لله رجع إلى بحار أنواره، وروحه أمرا لله من حضرة أمره، وذاته عالما لله في واسع وجوده، ومعناه ذكرا لله بين وجوه ذكره، وأناه اسما في حضرة أسمائه.

هذا ما يجب أن نَعْلَمه إذا قلنا وحدانية الله، وإذا نطقنا بشهادة أن لا إله إلا الله، راجين بنطقها أن يقوم بنا نورها وندخل حصنها وحقها فنشهد ما ننطق به، وننطق ما نشهد به، فنَعْرف ونُعرِّف ما نقومه ونشهده من حقها.. في وحدانية الله وفي وحدانية خلقه، بوحدانية غيبه، غيبه غيبهم وشهادته شهادتهم، بوحدانية العبد في وحدانية ربه معه.

إن العبودية والربوبية مصراعا باب واحد يفتح على روضة الحقيقة. ليس ربا من لم يكن عبدا لحقه. وليس عبدا من لم يكن ربا بإيمانه ويقينه ووحدانيته في توحيده. إن الربوبية والعبودية وصفان في إنسان الله، الإنسان الواحد، فهو رب لما خلق من مثقال ذرة من عمل من خير أو شر، وهو في ربه بدوره مثقال حبة من خردل من خلقه. إنه فيه على عين ما عَمَلُه هو فيه.

لا تبعدوا وصف الرب عن أنفسكم. ولا تزعموا وصف العبد لأنفسكم. إن وصف العبد لكم بعيد عنكم ما لم تتجمعوا على ربكم، فيكون لكم رب تعرفونه ويعرفكم، تشهدونه ويشهدكم وتقومونه ويقومكم.. وإلا فلستم بمعاني العباد، ولا وصف بالعبد لكم، ولكن وصف الرب لكم هو أقرب إليكم، وأنتم أغنى به من وصف العبد لكم.

إنكم تعملون وتحيون وتفكرون وتدبرون وتنشئون وتهذبون وتمكرون، وتعقلون وتجهلون وتفعلون وتخمدون.. بذواتكم وما حوت وما عليه انطوت من حياة وعقل وقلب وقالب وطاقات. فأنتم عوالم معانيكم، وأنتم أرباب مغانيكم. فإن أحسنتم ربوبيتكم على ما عليه سلطتم، وعلى ما عليه قمتم، وعلى ما عليه فعلتم ومنكم أوجدتم، {والله خلقكم وما تعملون}[٢]، تهيأتم لوصف العبودية لله، وقد نظركم الله فنظرتم لله، وداناكم الله فقاربتم الله، فبدأت معاني العبودية تتواجد لكم، وتتخلق فيكم باختياره لكم كائنات لها رب اصطفاها لمعاني نفسه.

إنكم أرباب معبودون من عملكم، ولكنكم لا تحسنون أن تكونوا عبادا من عمل ربهم، متصلين عابدين لربهم، يعرفونه ولا يجهلونه، ويواجهونه لا يظاهرونه، ويظهرونه لا يخاصمونه.

فإذا رجعتم إلى دينكم والى بيتكم والى أنفسكم فتعلمتم مما علمكم، وتذكرتم مما به ذكركم، وقاربتم الله الذي بعباده وبرسله قاربكم، وبكتبه وآياته في الآفاق وفي أنفسكم تحادث إليكم، ومن ضمائركم استمع لكم، ومن طواياكم أجابكم، ومن نواياكم عاملكم، ومن معانيكم تواجدكم.. الشر والخير منه، الفتنة والجزاء منه، والعطاء والبلاء منه، والرحمة والقهر منه، والشدة والرجاء منه، والبعد والقرب منه، والظاهر والباطن منه، والمادة والروح منه، والشيطان والرحمن منه، وإبليس وآدم منه، والجن والإنس منه، والعباد والملائكة منه... لا إله إلا هو.. لا موجود سواه.. ولا وجود لغيره.. يدركه المدركون فيحيون به، ويغفل عن ذكره الغافلون فيموتون عنه.

هو الذي يميت ويحيي.. يميت من حياة موقوتة به ويحيي من موت دائم فيه. يميت من الحياة بغيره ويحيي من الموت فيه. ومن أحيا منه فلا موت له ومن أمات فيه فلا قطيعة له. لا انفصال لمن حيا به ولا موت لمن مات فيه. إنه الوجود على سعته - ولا حد له - إنه الواسع على قربه - ولا حصر له -. إنه القريب على تعاليه - ولا تعدد معه -. إنه البعيد على تواجده - ولا إحاطة به - إنه القائم على كل نفس أقرب إليها من حبل الوريد. الناس وجوهه من وراء كل نفس محيط. وحدانيته في إغفال وجودك لقيام وجوده، وفي تجاهل شهودك لبعث شهوده. أنت فيه شاهده ومشهوده، موجده وموجوده..

هذه هي شهادة أن لا إله إلا الله. لا تستكملها ولا تقومها ولا تسعدها ولا تدخلها إلا من باب إنسانه، وساحة إحسانه، وحوض رحمته، وهيكل حقه، وموجود طلعته، وظاهر أمره، ومقارب سره، وقائم فعله.. عبده ورسوله.. في كل محمد له وفي كل محمد منه، وفي كل محمود به، وفي كل حامد لذكره، وفي كل أحمد من حمده، بشهادة رسول الله في ذات محمد الذي عرف.. ذاتا لا يتوقف تجددها ولا يتحدد تعددها، ولا يدرك بدؤها، ولا ييأس من تواجدها، ولا يخشى انتهاؤها، فلا يُبْتر عديدها، بل يتكاثر كوثرها بالمدثر من جوهرها، المتجدد في ليلها ونهارها في كلمات الله تمت، وفي كلمات الله تامة، وفي كلمات الله تتم، وفي كلمات الله تبدأ، وفي كلمات الله تصعد، وفي كلمات الله توضع، وفي قيام كلمات الله قيامة لله، وحصنا لله وخلاصا لخلق الله، في شهادة أن محمدا رسول الله.

إن الدين الذي قام على الشهادتين لله ورسوله، والذي ظهر وتجدد بالأمرين من العبد وربه، فعرف بالمحمدين من ظاهر وباطن، وصعد في العليين من كامل وأكمل، ودانى في الحسنيين من حسن

وأحسن، ودام للرضيين من صاحب ومتابع.. قاما في رضوان الله لهما وعنهما رضي الله عنهم ورضوا عنه.. قاما في الرضاءين.. قاما في رضاء الله عن عباده وفي رضاء العباد عن ربهم من رائد ومريده. أولئك هم القيمة لدين القيمة.

دين حفظه الله ووعد بدوام حفظه.. دين جعله الله لخلقه ما تواجد له في الكون خلق.. دين رضيه الله لعوالمه ما انشق الوجود بعوالمه، وما انشقت العوالم بعالمه وكتاب معلومه، وما انشق الإنسان عن حبه من نفسه فانشقت الأمهات عن الأوادم والأبناء، وبعث الأجداد في ثياب الأحفاد فقامت الكلمات بالحقائق، ثم قام منها ما قامت منه من الخلائق دواليك بلا بدء وبلا انتهاء أمر يقوم في تجدد الجنس برجال تقوم بهم الحكمة، ويتجدد بهم الدين.. ما تجدد الخلق، وما قام بالله اليقين.

هذا هو الإسلام دين الفطرة ودين القيمة. وهذا هو الإسلام دين الروح وعوالمه. وهذا هو الإسلام جاء به الروح قديما. وهذا هو الإسلام يأتي به الروح حديثا. وهذا هو الإسلام يقوم به الروح. وهذا هو الإسلام تقوم به الحياة في قانون الحياة. صدق رسول الله وهو في السماء روحه وأمينه. وصدق رسول الله وهو في الأرض عبده وإنسانه، وخل ذاته ورفيق صفاته، وكتاب معناه ووجه غيبه، وطلعة حقه وظاهر أمره، وحوض رحمته وباب حضرته وحجاب عزته.

هذا ما يجب أن نعلمه عن الدين، وهذا ما يجب أن نؤمنه عن الدين بالدين.. إن أردنا أن يكون لنا في الله دين، فنعلم أن وجودنا لله ومنه فرددنا الدين للدائن برد وجودنا لخالقه - وقد خلقنا لنفسه - فنرد معانينا لبارئها في معناه، ونرد أرواحنا لروح الله في مغناه، وعقولنا لنور الله في مجلاه، ونفوسنا لنار الله في قدسها، وذواتنا لعوالم الله في وجوده. إذا رددنا الأمر إليه وعرفنانا فيه معنى لعظيم معناه، وعبادا لقريب مجلاه، وعوالم لواسع وجوده، كنا على دينه.. كنا في دين. وإن غفلنا عن ذلك فلسنا في وجوده المتواجد بنا. وإن غفلنا وأغفلنا عنه كنا شياطين الإنس والجن.. كفرنا بمعنانا، وكفرنا بقيام مولانا، كفرنا وصددنا عن سبيل الله فأضل أعمالنا. أما إذا آمنا بما أنزل على محمد وهو الحق من ربنا.. من تاب.. تاب الله عليه.. أنسى الحفظة ذنوبه وغير معالم أرضه. من آمن بما أنزل على محمد وعلم أنه الحق من ربه، كفر عنه سيئاته وأصلح باله.. لا دينونة عليه ما دانى محمدا، ولا سؤال له ما أضاف نفسه إلى محمد، فهو وسيلته المشروعة وشفيعه المرتضى ورحمة الله المهداة.

فهلا آمنا بمحمد فتلاقينا مع رب محمد في محمد، وفي ساحة محمد، وفي حضرة محمد، وفي هيكل محمد، وفي بيت محمد، وفي نور محمد، وفي روح محمد، وفي نفس محمد، وفي ذات محمد، ما اجتمعنا على محمد في أنفسنا فكاه، وشهدنا ما شهدنا بمعناه؟!

اللهم إنا نسألك أن نشهد أن محمدا رسول الله فنشهد أنه لا إله إلا الله. فنشهد أنه لا إله إلا أنت. فنشهد أنك الأكبر وأننا فيك منك معنى عبوديتك عبادا لك لا نعبد إلا إياك ولا نعرف سواك، ولا قهر علينا إلا منك، ولا رضاء عندنا إلا عنك. لا إله غيرك ولا معبود سواك.

اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة. اللهم كنا لنا وكنا فيك، واغفر لنا ذنوبنا وشعورنا لوجودنا، واغفر لنا ما أسأنا وما أخطأنا وما نسينا. اللهم كن لنا في الصغير والكبير من شأننا. اللهم إنا لا نعبد إلا إياك أقرب إلينا من حبل الوريد قائما على كل نفس منا. اللهم فألف بين قلوبنا وبين جمعنا، وألف بين وحدتنا، وهبنا أمرنا، وأقم فيك ذكرنا، وأقم بنا ذكرك.

اللهم ولِ أمورنا خيارنا ولا تولِ أمورنا شرارنا بما كسبنا، وخذ بيدنا وانصرنا على أنفسنا حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، أئمة ومأمومين. اللهم برحمتك فارحمنا يا أرحم الراحمين.

أضواء على الطريق

(حاولت أن أظهر نفسي كصديقكم وحارسكم ومرشدكم، وأردتكم أن تشعروا بقربي منكم، وأنه مهما كان لي من صفات فإنها لا تمنعني من متعة الاتصال الشخصي بكم، وأن أكون مهتما بمشاكلكم وأزماتكم، ومستعدا لإعطائكم المساعدة الشخصية والإرشاد إن استطعت.

تذكروا أني لست معلما فقط أحاول أن أعلمكم الحقائق الأبدية وأكشف عن قوة الروح، فأنا أيضا صديق لكل واحد منكم لأني أحبكم حبا جما، وأكافح دائما لمساعدتكم بكل ما لدي من قوة واقتدار. تعالوا إلى دائما بمصاعبكم مهما كانت. إذا كان في استطاعتي مساعدتكم فسوف أفعل. وإذا لم يكن فإني سأكافح لأمنحكم القوة لتتحملوا أي هم قدر عليكم حمله).

من هدي الروح المرشد السيد سلفر برش

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الطارق - ٥
٢ سورة الصافات - ٩٦